الأقلام

مجلة فكرية عامة

الجزء الرابع - السنة الثالثة
رمضان ١٣٨٦ هـ
كانون الأول ١٩٦٦ م

الأقلام

الجزء الرابع – السنة الثالثة
رمضان ١٣٨٦ هـ
كانون الاول – ١٩٦٦ م

المحتويات

٣ زوارق بغداد . . . . . ناجي معروف
٢٥ رسل ملك البلغار . . . . . سعيد الديوه‌جي
٣١ مزاجان (قصيدة) . . . . . أنيس زكي حسن
٣٥ أمين نخلة . . . . . حارث الراوي
٤٩ المحتوى التربوي للدراسات اللغوية . . . . . الدكتور خليل الحماش
٥٥ تابيه . . . . . شاكر حسن آل سعيد
٦١ كبرياء (قصيدة) . . . . . فتحي سعيد
٦٢ الادارة المالية في العصر العباسي . . . . . روكس بن زائد العزيزي
٧٧ حفلة شاي في الحديقة . . . . . عزة كبة
٩٢ الصيرورة الطبيعية . . . . . الدكتور ياسين خليل
١٠٩ الاقلام الحرة (قصيدة) . . . . . موسى الموسوي
١١٠ سفرة نهرية بين بغداد والبصرة . . . . . جعفر الخياط
١٣٥ قصة شاعر (قصيدة) . . . . . راضي صدوق
١٣٦ فن النقائض عند شعراء هذيل . . . . . نوري حمودي القيسي
١٥٠ تاريخ المشاهدات الطبية . . . . . الدكتور فيصل دبدوب
١٥٦ الانفعالات . . . . . الدكتور احمد حسن الرحيم
١٦٥ ذكريات الربيع (قصيدة) . . . . . زهير الخطيب الهيتي
١٦٧ التضخم الذاتي عند المتنبي . . . . . عدنان حسين العوادي
١٧٩ لمحة على مقالة العروض العربي في الميزان . . . . . هادي طعمة
١٨٤ مسألة الفنان المعاصر . . . . . شوكة الربيعي
١٨٩ الساعة الثالثة والعشرون (قصيدة) . . . . . عبدالامير جعفر
١٩٠ كولن ولسن ورؤيا العصر . . . . . صاحب كمر
٢٠٢ في الفجر يموت المعذبون (قصة) . . . . . احمد عبدالكريم
٢٠٩ اغتراب (قصيدة) . . . . . محمد اسماعيل الاسعد

٢١٠ آراء وتعقيبات

لحظات في نظرات الجبوري . . . . . الدكتور مصطفى جواد
تعقيب . . . . . عبدالرضا الصخني
تعقيب . . . . . احدهم

٢١٨ النتاج الجديد

شهرزاد في خيام اللاجئين . . . . . عبدالرضا الصخني
طريق النصر في معركة الثار . . . . . (ع)

٢١٩ كتب الشهر . . . . . .

٢٢٦ انباء الفكر . . . . . .

زوارق بغداد

وجسورها في خلافة العباسيين

بقلم

ناجي معروف

تمهيد

بمناسبة شراء وزارة الثقافة والارشاد زورقين بخاريين من هولندا هما : السندباد والميمون لاستعمالهما للاغراض السياحية ببغداد رأيت أن أنشر على صفحات « الاقلام » بحثا في وسائل العبور والنقل والتنزه بدجلة ببغداد في العصر العباسي ، وان أذكر ان بغداد كانت تنتج في أحواضها ومعاملها أنواعا من الزوارق والمراكب والسفن لمختلف الاغراض ، وان اذكّر أهل بغداد بأن أسلافهم قد تفننوا في انتاج هذه الصناعة شأنهم في صناعاتهم الاخرى ، وجعلوا من دجلة متنزها عاما لهم يمخر فيه ليلا ونهارا ثلاثون الف زورق . وقد استعملت في الوقت نفسه للاغراض العسكرية كما اتخذت وسيلة من وسائل العبور بين الجانبين حين اتسعت بغداد اتساعا كبيرا على ضفتي دجلة ، ولم تعد الجسور التي كانت فيها كافية لنقل الناس والمؤن والامتعة من جانب الى آخر .

الفصل الاول

توسع بغداد في الجانب الغربي

يظهر ان الاقبال على سكنى بغداد قد ازداد جدا منذ عهد المنصور وسرعان ما اجتذبت اليها الناس من كل مكان من أنحاء البلاد العربية والاسلامية مما دفع المنصور الى توسيعها خارج الاسوار في الجهة الغربية وعلى الضفة الشرقية من دجلة وأول عمل قام به المنصور لتحقيق ذلك اخراج الاسواق من بغداد المدورة الى الكرخ التي في أسفلها بعد ان كانت في مئتين واثنتي عشرة طاقة في الطرق الاربعة الممتدة بين السورين الثاني والثالث . ويروى الخطيب البغدادي في هذا الصدد ان المنصور دعا بثوب واسع فحد فيه الاسواق ورتب كل صنف منها في موضعه وقال : اجعلوا

سوق القصابين في آخر الاسواق فانهم سفهاء وفي أيديهم الحديد القاطع(١) وروى الخطيب ان نقل الاسواق الى الكرخ تم في سنة ١٥٧ هـ وأمر ببنائها من ماله ، على يدي الربيع بن يونس مولاه . وفي تلك الاثناء وسع المنصور طرق المدينة وارباضها ووضعها على مقدار اربعين ذراعا اى عشرين مترا وأمر بهدم ما شاع من الدور عن ذلك القدر(٢) .

وفي سنة ١٥٨هـ بني المنصور قصره على دجلة خارج الاسوار وسماه الخلد . وفي رواية اخرى ان نقل الاسواق الى الكرخ تم بعد سنة ١٥٦ بخمسة أشهر وعشرين يوما . وبدأ ببناء قصر الخلد بعد شهر وأحد عشر يوما(٣) .

وقال ابو بكر الخطيب : (انما سمي قصر المنصور الخلد تشبيها له بجنة الخلد ، وما يحويه من كل منظر رائق ، ومطلب فائق ، وغرض غريب ، ومراد عجيب . وكان موضعه وراء باب خراسان(٤) .

ونمت مدينة المنصور خارج الاسوار بين قطيعة ام جعفر الواقعة قرب مشهد الامام موسى الكاظم بالكاظمية اليوم ومحال الكرخ وما يتصل بها ومن دجلة الى الموضع المعروف بالكبش والاسد واتصلت الابنية وتلاصقت الدور والمساكن بين هذه الاماكن . وروى الخطيب ان المجتاز بالكبش والاسد كان لا يتخلص في اسواقها من كثرة الزحمة . ثم يذكر انها اصبحت صحراء مزروعة بينها وبين البلد مسافة(٥)

وجر المنصور لاهل الكرخ وما اتصل به كما يقول أبو بكر الخطيب(٦) « نهرا يقال له : نهر الدجاج وانما سمي بذلك لان اصحاب الدجاج كانوا يقفون عنده ، ونهرا يقال له نهر القلائين ، ونهرا يسمى نهر طابق ، ونهرا يقال له نهر البزازين ، ونهرا في مسجد الانباريين وانهارا أخرى .. » .

وانتشرت الانهار والاقنية في الجانب الغربي بحيث صارت المياه تحيط ببغداد من جميع جهاتها . ومن اشهر هذه الانهار : نهر عيسى الذى كان يحمل ماءه من الفرات . ونهر الصراة الآخذ من نهر عيسى وكان عليه كما يقول ابن حوقل : « عمارات كثيرة للجانب الغربي وتتفجر منه انهار كثيرة لعمارات الناحية » (٧) وخندق طاهر الذى يدور حول بغداد ويصب في دجلة في أعلى المدينة المدورة . ونهر رزين وكان يمر في أماكن عديدة ونهر قطيعة الكلاب ، ونهر بطاطيا وكانت له فروع ثلاثة اصبحت بعد بناء المدينة المدورة يعبر فوق خندق طاهر ويذكر الخطيب ان جميع الانهار كانت مكشوفة الا التي في الحربية فانها قنوات تحت الارض واوائلها مكشوف(٨) .

وكان بعض هذه الانهار يتخرق بين المحال والدور ، ويجتاز الارباض ، وينفذ الى المدينة ، وتساير الشوارع والدروب والاحياء لا ينقطع ماؤها صيفا ولا شتاءا وقد اتخذت لشرب الناس ولري الارباض والبساتين ،

وعقدت فيها القناطر والعبارات والجسور لمـــرور الناس والحيوانات ٠ ويذكر اليعقوبي أن المنصور جر « القناة التي تأخـذ من نهـر كرخايا في عقود وثيقة من اسفلها محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها معقودة عقدا وثيقا فتدخل المدينة وتنفذ في أكثر شوارع الارباض تجرى صيفا وشتاء قـــد هندست هندسة لا ينقطع لها ماء في وقت » ٠

وقد ساعد انتشار شبكة الانهار والجداول وتوفر المياه على امتـــداد العمران الى مسافات بعيدة فقد قيل على ما ذكر الخطيب البغدادي(٩) : ان الدروب والسكك ببغـداد أحصيت فكانت سـتة آلاف درب وسـكة بالجانب الغربي ، وأربعة آلاف درب وسكة بالجانب الشرقي ٠

وروى الخطيب أيضا ان ذرع بغداد من الجانبين بلغ (٥٣/٧٥٠) جريبا مربعا منها الجانب الغربي ٢٧/٠٠٠ جريب مربع والجانب الشرقي(٢٦/٧٥٠) جريبا مربعا ٠ وذكر في رواية اخرى ان مساحتها بلغت (٤٣/٧٥٠) جريبا مربعا : الجانب الشرقي ١٦/٧٥٠ جريبا مربعا والجانب الغربي ٢٧/٠٠٠ جريب مربع(١٠) ٠

ويروي الخطيب ان بغداد مسحت لابي احمد الموفق والد الخليفة المعتضد عند دخوله مدينة السلام فكانت مساحة الجانب الشرقي (٢٦/٢٥٠) جريبا مربعا وكانت مساحة الجانب الغربي (١٧/٥٠٠) جريب مربع فالجميع من ذلك ثلاثة واربعون الف جريب مربع وسبعمئة وخمسون جريبا مربعا ٠ من ضمنها المقابر وكانت مساحتها اربعة وسبعين جريبا مربعا(١١) ٠

ومن اشهر جبّانات بغداد(١٢) التي تسـاعد كثيرا عـلى معرفة خطط بغداد أيام العباسيين، مقبرة الخيزران «بالاعظمية» وفيها مشهد أبي حنيفة وأبو بكر الشبلي ٠ ومقابر قريش «بالكاظمية» وفيها مشهد الامام موسى بن جعفر ومشهد الامام أبو يوسف القاضي ٠ والشونيزية وهي مقابر الصـــوفية بالجانب الغربي وفيها مشهد الجنيد البغدادي ومقبرة الشـــيخ معروف بالجانب الغربي أيضا وفيها مشهد معروف الكرخي ٠ ومن مقـابر الجانب الشرقي : المقبرة المالكية والمقبرة الوردية وفيها مشهد الشيخ عمر السهروردي ومقبرة الكيلاني وفيها مشهد الشيخ عبدالقادر الكيلاني ٠٠ الخ ٠

وعلى مرور الزمن تغيرت المحلات والاماكن وتداخلت في مواضع الابواب التي في المدينة المدورة وازيلت الاسوار فكان من ذلك كله مدينة بغداد في الجانب الغربي ٠ ومثل ذلك يقـــال عن نمو بغداد في الجـانب الشـــرقي

الفصل الثاني

توسع بغـداد في الجانب الشرقي

ولما انتهى المنصور من توسيع بغداد في الجانب الغربي من دجلة شرع في توسيع رقعتها في الجانب الشرقي منه فبنى الرصافة مقابل المدينة المدورة

بلصق المكان الذي كان يضم قبر أبي حنيفة وذلك عندما قدم ابنه المهدي من المحمدية بالري في شوال سنة احدى وخمسين ومئة • وقد عمل لها خندقا وسورا وميدانا وبستانا وأجرى لها الماء • وكان بناء المهدي بالرهوص وهو الطين المخلوط بالحصى الا ما كان يسكنه هو • واختلف في تاريخ الانتهاء من بناء الرصافة وجميع مافيها فمنهم من قال : فرغ من بناء الرصافة سنة اربع وخمسين ومئة • ومنهم من قال سنة تسع وخمسين ومئة وسمي ربع الرصافة بعسكر المهدي لان المهدي عسكر به عند شخوصه من الري •

ويروي الخطيب البغدادي ان المعتصم امر بوزن مدينة المنصور والرصافة ليعرف أيهما أعلى فوزنتا فكانت المدينة المدورة أعلى من الرصافة بذراعين ونحو ثلثي ذراع(١٣) •

وقد اقطعت القطائع الى رجال الدولة ، وانشئت الاسواق والدروب والسكك • وبنيت القصور ، وشقت شبكة من الانهار من نهر «بِيَيْن» الآخذ من نهر الخالص • وقد ساعد توفر المياه على توسع المدينة وانتشار العمران على ضفة دجلة الشرقية أيضا كما كان الحال ببغداد الغربية • ومن اشهر أنهار الجانب الشرقي : نهر موسى وكان يأخذ ماءه من نهر «بِيَيْن» وكان يتفرع الى عدة انهار تتخرق محال الجانب الشرقي • ومن فروعه : نهر المعلى الشهير الواقع فوق دار الخلافة(١٤) وكان يمر بين الدور الى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في دجلة وذلك بعد ان اتسعت بغداد الى جنوب الرصافة القديمة بعد ان رجع الخلفاء العباسيون من سامراء • ونهر الفضل ويحمل ماءه من الخالص ايضا وكان ينتهي الى باب الشماسية حيث يؤخذ منه نهر يقال له نهر المهدي وهو منسوب الى المهدي • ومنزله كان هناك ، وكان يدخل رصافة المهدي ويمر في المسجد الجامع ويصب في بركة في جوف قصر الرصافة(١٥) •

الفصل الثالث

جسور بغداد وقناطرها

لقد كان من الضروري بعد بناء بغداد ونموها السريع على ضفتي دجلة في عهد المنصور وخلفائه أن يوصل بين الجانبين الغربي والشرقي بجسور تعقد على دجلة وكانت هذه الجسور تعقد فوق قوارب يقال لها : زواريق وكانت تقطع أو تحول بحسب الحاجة • وقد ذكر المؤرخون خمسة من هذه الجسور خلال العصور العباسية فيها ثلاثة جسور روى الخطيب البغدادي ان المنصور اعقد احدها للنساء وعقد اثنين منها بباب البستان لنفسه وحشمه• وعقد الرشيد جسرين عند باب الشماسية • وذكر الخطيب ان الامين عقد جسرين بالزندورد في أسفل بغداد وهما جسر الزندورد الاعلى وجسر

الزندورد الاسفل وكان الامين قد انشأ لنفسه قصرا جميلا في تلك المنطقة قرب ضفة دجلة الشرقية التي اشتهرت بجمال بساتينها ·

ولم تزل هذه الجسور الى ان قتل الامين ثم عطلت ، وبقي منها ثلاثة الى أيام المأمون ثم عطل واحد منها · ويذكر ابن الجوزي ان الوزير ابا غالب الملقب فخر الملك المتوفى سنة ٤٠٧هـ وهو من اهـــل واسط عمل الجسر ببغداد وكان قد نسي وبطل ، وعمل له درابزينات(١٦) · وفي النصف الاول من القرن الخامس الهجري لم يبق ببغداد الا جسر واحد · وقد قطع هذا الجسر الوحيد في الثورة التي حدثت في عهد الخليفة القائم بأمر الله في سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) ·

ويظهر ان الجسور ببغداد كانت تزيد وتنقص وتتغير مواقعها بحسب الظروف والاحوال فقد كانت الجسور المعقودة على دجلة حتى منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ثلاثة جسور وقد روى الخطيب عن رجل سمعه يقول : « ادركت ببغداد ثلاثة جسور احدها محاذي سوق الثلاثاء ، وآخر بباب الطاق ، والثالث في أعلى البلد عند الدار المعزية محاذي الميدان » ثم روى عن آخر ذكر له ان الجسر الذى كان محاذي الميدان نقل الى الفرضة بباب الطاق فصار هناك جســران يمضي الناس على احدهمـــا ويرجعون على الآخر ·

وذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٣٨٣هـ قال : « وفي يوم الاربعاء لاربع بقين من جمادى الاولى وقع الفراغ من الجسر الذي عمله بهاء الدولـة في مشرعة القطانين بحضرة دار مؤنس واجتاز عليه من الغد ماشيا وقد زين بالمطارد(١٧) ·

وقال هلال بن المحسِّن : عقد جسر بمشرعة القطانين سنة ٣٨٣هـ فمكث مدة ثم تعطل · ولم يبق ببغداد بعد ذلك سوى جسر واحد ببـــاب الطاق الى أن حول سنة ٤٤٨ هـ فعقد بين مشرعة الروايا من الجانب الغربي وبين مشرعة الحطابين من الجانب الشرقي ، ثم عطل سنة ٤٥٠ هـ ثم نصب بمشرعة القطانين ·

ويبدو لاول وهلة ان جسور بغداد الاولى كانت قد عقدت على دجلة مقابل المدينة المدورة وفي أعلاها وفي اسفلها · واليك شـيئا يسـيرا عن هذه الجسور ومواقعها خلال العصور وما استجد منها بعد خلافة المنصور ·

١ ــ الجسر الكبير او جسر باب الطاق : وكان يوصل بين الرصافة والمدينة المدورة ، ويمر فوقه الطريق الشارع من باب خراسان الـذي في الشمال الشرقي من المدينة المدورة أي بالقرب من قصري الخلـد والقرار وحدائقهما حيث شيد فيما بعد المارستان العضدي(١٨) في القرن الرابع الهجري الى رأس الجسر الذي كان عليه باب الطاق بالرصافة في اسـفل « مشهد أبي حنيفة » ·

٢ ـ الجسر الاعلى أو جسر الشماسية أو جسر الدار المعزية : بين الشماسية في الجانب الشرقي واعلى بغداد الغربية . وكان يتألف من عشرين زورقا وقد عطل بعد مقتل الامين وأحرق في خلافة المستعين سنة ٢٥١ هـ (٨٦٥م) وقد عقد معز الدولة البويهي جسرا بباب الشماسية يربط داره التي بناها هناك باعلى الجانب الغربي من بغداد . ويذكر الخطيب ان الجسر الذي هناك نقل الى الفرضة بباب الطاق ليكون قسما من الجسر الكبير . وبذلك اصبح ببغداد جسران فقط كما اسلفنا .

٣ ـ الجسر الاسفل او الجسر الاول او الجسر الجديد ويقال له جسر سوق الثلاثاء أيضا ويظهر انه كان يقطع دجلة عند الحد الاسفل او الجنوبي من سور المستعين اي تحت الجسر الكبير .

٤ ـ جسر دار الخلافة : لقد انشيء قبل نهاية القرن الخامس جسر جديد عند قصور الخلفاء التي انشئت في الجانب الشرقي منذ عودة الخلفاء من سامراء . وقد وصف هذا الجسر في النصف الثاني من القرن السادس الهجري انه كان على قوارب يربط بعضها ببعض سلاسل من حديد . ويذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٥١٦ ان الخليفة المسترشد ضرب سرادقه عند رقة ابن دحروج ونصب هناك الجسر(١٩) .

٥ ـ جسر السيدة بنفشة : لقد ذكر ابن الجوزي(٢٠) في حوادث سنة ٥٧٠ هـ جسر السيدة بنفشة زوجة الخليفة المستضيء فقال :« وفي يوم الجمعة ثاني عشرين المحرم نصب جسر جديد أمرت بعمله جهة من جهات المستضيء بأمر الله تلقب بنفشة . وكتبت اسمها على حديدة في سلسلة . وجعل تحت مكان الجسر العتيق . وحمل الجسر العتيق الى نهر عيسى . فبقي تحت الرقة الى ان حول في هذه الايام ، نحوا من خمسين سنة فوجد الناس له راحة عظيمة بوجود جسرين » .

وفي سنة ٥٨٠هـ يقول ابن جبير : « فحملت دجلة الجسر بمدها السيلي فعاد الناس يعبرون بالزوارق ... » الى ان يقول : « والعادة ان يكون لها جسران احدهما مما يقرب من دور الخليفة والآخر فوقه »(٢١) .

وعلى الرغم من أن أهل بغداد كانوا يعبرون على الجسرين المذكورين فان عدد من كان يعبر بالزوارق ازداد ازديادا عظيما حتى ان اصحاب الزوارق كانوا في عمل مستمر لنقل الناس . وقد وصف ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ الجسر المؤدي الى قصور الخلفاء بأنه كان جسرا معقودا فوق زوارق(٢٢) . وقد رفع هذا الجسر قبيل حصار المغول لبغداد سنة ٦٥٦ هـ غير انه اعيد عقده .

٦ ـ جسر الخليفة الظاهر سنة ٦٢٢هـ : لقد انشيء في خلافة الظاهر ابن الناصر لدين الله جسر جديد عقد عند سوق السلطان «قرب باب المعظم» فقد جاء في الفخري(٢٣) ان « الظاهر هو الذي عمل هذا الجسر الجديد

الموجود الآن (٧٠١هـ) ببغداد . ولما فرغ منه عمل الشعراء فيه المدائح » .

وقد وجد ابن بطوطة(٢٤) في سنة ٧٢٧هـ ببغداد جسرين احدهما الجسر المعقود امام دار الخلافة والثاني اعلى منه وذلك حين يقول : « لبغداد جسران اثنان معقودان على الضفة التي ذكرناها في جسر مدينة الحلة » . وقد وصف هذا الجسر بقوله : ولها جسر عظيم معقود على مراكب متصلة ومنتظمة تحف بها من جانبيها سلاسل من حديد مربوطة في كلا الشطين الى خشبة عظيمة مثبتة بالسلاسل » .

وظل لبغداد في عهد المغول هذان الجسران الاخيران . ولما زار تافرنييه بغداد كان فيها جسر معقود على ثلاثة وثلاثين قاربا(٢٥) .

أما القناطر ببغداد فكانت جسورا صغيرة تشيد بالآجر فوق الانهر الصغيرة . ولما كانت الانهار التي في ضفتي بغداد كثيرة فيمكن القول بأن القناطر التي شيدت عليها كانت كثيرة جدا نذكر منها على سبيل المثال القناطر العشر التي كانت على نهر عيسى وهو نهر يأخذ ماءه من الفرات ويصب بدجلة في الفرضة السفلى أسفل المدينة المدورة وكانت تسير فيه السفن من الفرات الى دجلة . وكان عليه بين مصبه بدجلة وبلدة المحول الواقعة على بعد خمسة كيلومترات من المدينة المدورة عشر قناطر هي : قنطرة الياسرية وكانت حولها البساتين الغن ، وقنطرة الروميين ، وقنطرة الزياتين . وقنطرة الاشنان في موضع باعة الاشنان المستعمل في غسل الثياب وقنطرة الشوك في موضع باعة الشوك ، وبالقرب منها البزازون والدوارون وهم الباعة المتجولون . وقنطرة الرمان في موضع باعة الرمان . وقنطرة المغيض حيث الارحاء بالقرب من موضع يدعى المغيض . ثم قنطرة البستان اما القنطرتان الاخيرتان فهما : قنطرة المعبدي وقنطرة بني زريق وكانت هذه القنطرة مشيدة بالرخام . ويذكر ياقوت(٢٦) : انه كان في الاصل سوق لكل قنطرة من هذه القناطر .

الفصل الرابع

زوارق دجلة

تعد الزوارق والسفن بدجلة من المظاهر الحضارية ببغداد لان الناس كانوا يستعملونها للعبور ونقل الامتعة بين الجانبين بالاضافة الى الجسور التي أسلفنا ذكرها ، وللنزهة ليلا ونهارا هذا ، الى كونها تمثل صناعة متقنة كانت تنتجها بغداد .

لقد ذكر هلال بن المحسّن للخطيب البغدادي ان السميريات المعبرانيات بدجلة احصيت أيام أبي احمد الموفق فكانت ثلاثين الفا ، قدر من كسب ملاحيها في كل يوم تسعون الف درهم(٢٧)

وقد وصف أبو الوفاء ابن عقيل بغداد على عهده فذكر دجلة وما على

جانبيه من قصور وبساتين ودواليب وشرفات متقابلة ومافيه من سفن وسميريات فقال : والبط يتلاعب في مشرعة الدار الشاطئية ولربما اختلطت أصوات أغانيها بترنيم دواليبها ، ونقيق بطها وضجة غلمانها وخدمها ودجلة تنسل بين شاطيء قصورها الشاطئية .. ثم قال : ولقد نزلت كثيرا في سميرية منحدرا فما ازال اسمع هذه الانغام من شرعة الجسر بباب الطاق(٢٨) الى باب المراتب وكان لدور الشط ابواب الى شوارعها وعلى كل باب مراكب مسرجة مهيأة وامامها في النهر سفن لركوب الشط والناس كأنهم في دعوة لا تخلو من ختان صبي أو زفاف امرأة وفي البيت مجالس القراء على الكراسي بالالحان ، ومسابقة السفن ... ثم قال : وكنت اسمع من المشايخ ان بدجلة خمسمئة مضفرة مزينة لا يركب فيها الا ظراف التجار والاجناد ، وارباب المقاطعات الرجل وغلامه ، والملاحون بالثياب الجميلة(٢٩) .

وقد رأى ابن جبير قوارب دجلة عند زيارته بغداد في سنة ٥٨٠ هـ فقال : « والزوارق فيها(٣٠) لاتحصى كثرة فالناس ليلا ونهارا من تمادى العبور فيها في نزهة متصلة رجالا ونساء والعبور في الزوارق لا ينقطع » .

وقد ذكرت السفن والمراكب في المشارع وفي دجلة(٣١) محملة بالسلاح قال ابن الجوزي(٣٢) : وقدموا السفن في دفعة واحدة ودخل العسكر في السلاح وترّسوا في وجوههم ، والبسوا الملاحين السلاح ورماة النشاب من ورائهم .

وقد ورد ذكر عدد كبير من زوارق دجلة ومراكبها في كتب المؤرخين والجغرافيين والرحالين ووصف ابن الجوزي وابو القاسم البغدادي مراكب الخلفاء والامراء واليك شيئا عن هذه القوارب التي كانت تمخر عباب دجلة للعبور بين الجانبين او للانتقال بين أعلى النهر واسفله او للنزهة او للهو او القتال او لنقل الحيوانات والامتعة . باعتبار انها من مظاهر حضارة بغداد . وكانت أشكالها على شكل الحيوانات والطيور البرية والحيوانات النهرية والبحرية .

وكان الخلفاء حين يحتفلون بالسلاطين يرسلون اليهم الزبزب أو الطيار(٣٣) . وقد ركب فيها من السلاطين : السلطان ملكشاه والسلطان محمود ومعز الدولة وشرف الدولة ...

وكان الخلفاء يحملون جنائزهم في الطيار الى قرب الرصافة(٣٤) ويقيمون فيه صلاة الجمعة في اثناء الغرق(٣٥) كما كانت تؤدى بها بعض الخدمات الاخرى .

واليك اشهر قوارب بغداد بدجلة مرتبة بحسب الحروف الهجائية مع شيء من اخبارها كما وردت في المظان المختلفة وبخاصة بالنسبة للزبزب والطيار بدجلة(٣٦) . باعتبارهما من اشهر المراكب التي استعملها العباسيون على الصعيد الرسمي . أما المراكب الاخرى فقد استعملت على الصعيدين

الشعبي والرسمي معا ٠

١ ــ الجوانحيات : وهي من سفن دجلة ٠ ذكر ابو الفرج الاصفهاني ان المتوكل لما عقد العهد لاولاده ركب بسر من رأى « ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيات وسائر السفن » ٠

٢ ــ الحديدي : ذكره الطبري فقال : انقرضت الاتراك ٠٠ وتبعهم أهل بغداد ٠٠٠ وضربوا زورقا لهم كان يقال له : الحديدى كان آفة على بغداد » ٠

وجاء في تكملة الطبري(٣٧) لمحمد بن عبدالملك الهمداني في حوادث سنة ٣٢٩ ان الوزير البريدي دخل بغداد ، وكان معه من الزبازب والطيارات والحديديات والشذاآت ما لايحصى ٠

وفي كتاب تجارب الامم لمسكويه « وقعد الوزير وعلي بن عيسى في دار السلطان ينتظران عود الجماعة ٠٠٠ فعادوا وذكروا انهم لم يصلوا الى مؤنس وانهم أجلسوا في الحديدي ٠٠٠ فبينما هم كذلك اذ هجم الجيش على الحديدي فكادوا يغرقونه ٠٠ وخرجوا من عنده (مؤنس) فقبض عليهم عند مغيب الشمس وحبسهم في الحديدي(٣٨)« ٠ « فوقع على حديديه طائر ٠٠ »(٣٩) « فلما صار في الحديدي(٤٠)» « وصلبت جثته على باب الخاصة على دجلة في الموضع الذي كان حديديه مشدودوا ٠٠ »(٤١) ٠

٢ ــ الحراقة : وتجمع على حراقات وحراريق تقذف منها النار على العدو ثم استعملت كالشبارات للعبور وكان الكبراء او الاغنياء يتنافسون في بنائها وتزيينها فاخرجوها على صور الحيوان والطير ٠ وقد عمل الامين ببغداد خمس حراقات في دجلة على صورة الاسد والفيل والعقاب والفرس والدلفين وذكر أيضا انه اتخذ الغرابية والجرادية والكوثرية ٠ قال ابو نؤاس :

الا ترى ما اعطي الامين ... اعطي ما لم تره العيون
ولم تكن تظنه الظنون ... الليث والعقاب والدلفين

وقال أيضا يمدحه :

قد ركب الدلفين بدر الدجى ... مقتحما في الماء قد لججا
لم ترعيني مثله مركبا ... احسن ان سار وان عرجا
اذا استحثته مجاذيفه ... اعنق فوق الماء أو هملجا

وقال أيضا يصف حراقتي الليث والعقاب :

سخر الله للامين مطايا ... لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سار بسرا ... سار في الماء راكبا ليث غاب
اسد باسط ذراعيه يعدو ... اهرت الشدق كالح الانياب

لا يعانيه باللجام ولا السـو ط ولا غمز رجله في الركاب
عجب الناس اذ رأوك على صو رة ليث يمر مر السحاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه كيف لو ابصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر وجنا حين تشق العباب بعد العباب
تسبق الطير في السماء اذا ما استعجلوها لجيئة وذهاب(٤٢)

ويظهر ان بناء مثل هذه الحراقات التي يقصد بها التزين والمباهاة كان يكلف أموالا طائلة .

وجاء في المنتظم(٤٣) ما يدل على ان الحراقة كانت كبيرة فقد ذكر ان الوزير حامد بن العباس كانت له حراقة في نهر الابلة بالبصرة ملاحوها خصيان بيض وعلى وسطها شيخ يقرأ القرآن وهي مظللة مسترة . وقد ذكر يومئذ انها حراقة الحرم لا يحسن ان يكون ملاحوها فحولة .

وجاء في الاغاني ان علوية قال : قدم المأمون من خراسان وكان يخرج الى الشماسية دائما يتنزه فركب في زلال وجئت اتبعه فرأيت حراقة علي ابن هشام فقلت للملاح : اطرح زلالي على الحراقة ففعل واستؤذن لي فدخلت وهو يشرب مع الجواري .. فسر بذلك وطرب وقال لي : ما اجد لك مكافأة على هذه الهدية الا ان اتحول عن هذه الحراقة بما فيها واسلمها اليك اجمع فتحول الى اخرى وسلمت الحراقة بخزانتها وجميع آلاتها الي وكل شيء فيها فبعت ذلك بمائة وخمسين ألف درهم »(٤٤) .

٤ ـ **الخيطية** : وهي نوع من المراكب كانت تعمل بالبصرة في الابلة ويركب فيها الى الصين(٤٥) .

وذكرها ابن الجوزي ببغداد وقال : « كان لدور الشط ابواب الى شوارعها ، وعلى كل باب مراكب مسرجة مهيأة لركوب الشط كما بين يدي رواشنها خيطية او زبزب لركوب الشط »(٤٦) .

٥ ـ **الرقيات** : قال الطبري(٤٧) : احصي ما في الشذا والسميريات والرقيات التي كانت تعبر فيها الخيول فكانوا زهاء عشرة آلاف ملاح » .

٦ ـ **الزبازب** : وهي من مراكب القتال وقد وصفها الشاعر بقوله :

زبازب تحكي اذا سيرت عقاربا تجرى على زئبق

واستعملت للهو والعبور قال الشابشتي(٤٨) في وصف عيد اشموني: « لا يبقى احد من أهل التطرب واللعب الا خرج اليه فمنهم من في الطيارات ومنهم من في الزبازب والسميريات كل انسان بحسب قدرته » .

وشوهد الرضي والمرتضى العلويان في زبزب في دجلة . وفي حوادث سنة ٣٨١ ان بهاء الدولة قبض على الخليفة الطائع فلف في كساء وحمل

الى بعض الزبازب واصعد به الى الخزانة في دار المملكة(٤٩) .

وجاء في كتاب الخطيب ورسوم دار الخلافة وابن الجوزي وتجارب الامم ، لما وصل وفد الروم الى بغداد في عهد المقتدر أنقيت المراكب والزبازب في دجلة بأحسن زينة(٥٠) وفي سنة ٤٠٤ هـ انحدر فخر الملك الى دار الخلافة . فلما صعد من الزبزب قدمت له دابة فركبها من المشرعة(٥١) .

وفي المنتظم(٥٢) ان الخليفة المسترشد جلس في الدار الشاطئية المجاورة للمثمنة وهي من الدور البديعة التي انشأها المقتدى وتممها المسترشد فجلس في قبة على سدة وعليه الثوب المصمت الاسود والعمامة الرصافية وعلى كتفه بردة النبي (ص) وبين يديه القضيب .. ثم نقل السلطان محمود ويده في يد اخيه مسعود وقد نفذ اليه الزبزب مع اقبال ونظر فلما صعد منه قدم مركوبه عند المثمنة ..

وفي المنتظم(٥٣) ان المسترشد نفذ اقبالا وابن الانبارى وابن الصاحب وفي صحبتهم خيل وبغال وجواشن ، وتخوت ثياب ثم اسرج الزبزب للوزير وجلس فيه ، وحجاب الديوان معه . وركب ارباب الدولة في السفن حول الزبزب . ونزل العوام في السفن وعلى الشط . وكان يوما عظيما فدخل الى السلطان محمود وادى الرسالة فقام السلطان وقبل الارض ثم اذن للوزير في الانكفاء فنهض فركب في الزبزب الى أن وصل الى دار وزير السلطان .

وفي المنتظم أيضا(٥٤) ان الامير ابا الحسين وهو علي بن المستظهر توفى في سنة ٥٢٥هـ وحمل في الزبزب وقعدوا للعزاء .

ولما توفيت فاطمة خاتون بنت السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي زوجة المقتفى سنة ٥٤٢هـ صلى عليها قاضي القضاة الزينبي في صحن السلام وحملت في الزبزب الى الترب بالرصافة قريبا من قبر المستظهر(٥٥)

وفي ٢٤ من ذى الحجة سنة ٥١٦ صلى المسترشد الجمعة ونزل راكبا من باب الغربة مما يلي المثمنة وعبر في الزبزب وعليه القباء والعمامة وبردة النبي صلى الله عليه وسلم على كتفيه والطرحة على رأسه وبيده القضيب ومعه وزيره احمد بن نظام الملك والنقيبان وقاضي القضاة الزينبي وجماعة الهاشميين والشهود والقضاة والناس فنزل بالمخيم وأقام به الى ان انقضى شهر ذى الحجة(٥٦) .

وفي سنة ٥٥٦ اخرج المقتفي من الدار في الزبزب والسفن حوله بالشمع الكبار والموكبيات وجمع ارباب الدولة معه الى الترب(٥٧) .

ويبدو ان الزبزب كان سريع التنقل ولعل الحيوان الوهمي الذي كان يفزع أهل بغداد ويسمونه بالزبزب انما سمي كذلك لانه سريع التنقل والاختفاء والظهور ولا يزال أهل بغداد يطلقون عليه « الغريري » أو « البزبز » .

وفي سنة ٥٢٣هـ دخل دبيس بغداد وركب في الميدان وقعد في دجلة في سفينة السلطان محمود .. ونفد الخليفة المسترشد الى السلطان خلعا كان قد اعدها له مع الوزير ابى القاسم الزينبي . وكان الوزير في الزبزب والموكب في سفن والناس على دجلة وفي السفن يدعون للخليفة والسلطان ويلعنون دبيسا(٥٨) .

وفي سنة ٥٥١ استدعي سليمان شاه بن محمد الى باب الحجرة فجاء في الماء وخرج أهل بغداد للفرجة . وخلع عليه بباب الحجرة وتوج وسور ، واعطي الفرس والموكب واسرج له الزبزب وركب في الماء وكان الناس في السميريات يتفرجون حتى تعذرت السفن(٥٩) .

وفي سنة ٤٥٢ ورد الامير عدة الدين ابو القاسم عبدالله بن ذخيرة الدين وجدته وعمته وسنه يومئذ اربع سنين مع ابي الغنائم ابن المحلبان واستقبله الناس وجلس في زبزب كبير وعلى رأسه ابو الغنائم .. الى باب الغربة(٦٠) .

٧ ـ **الزنبرية** : وهي ضرب من السفن ضخم . والزنبريتان هما السفينتان اللتان في الجسر في الجانب الشرقي من بغداد(٦١) قال أحدهم : كنت قائما على زنبرية الجسر في الجانب الشرقي والحاج يدخلون وجمالهم سدت(٦٣) عرض الجسر .. وكنا نلتقي على زنبرية باب الجسر بالعشايا(٦٢) . وفي كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي قال الحاكي : كنت في وسط الكار ...

٨ ـ **الزلال** : كان يتخذ للركوب والنقل ويذكر احيانا بالزلاج قالوا : خرج الامين ذات يوم وقد امر الجند والقواد فركبوا ولبس ثيابه وتقلد سيفه واعدت الحراقات والزلاجات(٦٤) . وكان مما يعجب الرشيد غناء الملاحين في الزلالات اذا ركبها(٦٥) . وقال عمر بن فرج : « انصرفت مع عمرو بن مسعدة يوما من الشماسية والمأمون بها في زلال »(٦٦) .

وقال الشابشتي : « لقد اشتهى بعض ولد الرشيد التفرج والتنزه في الماء فأراد ان يبني زلالا يجلس فيه فمنعه اسحق (ابن اخي طاهر بن الحسين) وقال : (هذا شيء لا نحب ان يعمل مثله الا بأمر أمير المؤمنين واذنه فكتب الى المعتصم يستأذنه في ذلك فخرج الامر الى اسحق باطلاقه له فكتب اسحق « ورد علي كتاب من امير المؤمنين باطلاق بناء زلال لم يحد لي طوله ولا عرضه فوقفت امره الى ان استطلع الرأي في ذلك فكتب اليه يحمده على احتياطه ويحد له ذرع الزلال »(٦٧) .

٩ ـ **الزو** : وهو سفينة تشبه فيما يظهر طير الماء(٦٨) استخدمها الرشيد في نهر الفرات(٦٩) وقد نادم المتوكل شاعره البحتري في الزو في

سامراء وتصيد الوائق وهو في الزو بنهر القاطول بسامراء صيدا حسنا من الاوز والدراج وطير الماء(٧٠) .

قال البحتري يصفه :

ولم أر كالقاطول يحمل ماؤه ... تدفق بحر بالسباحة طام
ولا جبلا كالزو يوقف تارة ... وينقاد اما قدته بزمام

١٠ ـ السفينة : وقد وصفها ابو نؤاس(٧١)

بنيت على قدر ولأم بينها ... ضعفان من قار ومن الواح
فكأنها والماء ينطح صدرها ... والخيزرانة في يد الملاح
جون من العقبان تبتدر الدجى ... تهوي بصوت واصطفاق جناح

١١ ـ السميرية : وهي من انواع المراكب التي يقاتل فيها واستعملت للنقل والنزهة في دجلة وقد اكثر الخطيب وابن الجوزي من ذكرها(٧٢) جاء في المنتظم : وانزلوه سميرية ... وتسرعوا في رد السميرية وعلقوا بمجدافها واضطربت ودخلها الماء(٧٣) .

وقد يطلق عليها سمارية أيضا فقد جاء في المنتظم(٧٤) لابن الجوزي ان بعض العمال ولي عكبرا فقال يسأل الوزير الذي ولاه : كيف استأجر السمارية مصعدا ومنحدرا فتبسم وقال : امض ساكنا . وجاء في تجارب الامم لمسكويه(٧٥) .. « وعبرت انا في سميرية .. ونحو عشرين سميرية فيها غلمان .. فلما رشقنا الديلم بالنشاب » وجاء فيه أيضا(٧٦) « .. ولما وصلوا الى باب الخاصة صعد جمع عظيم من السميريات لرجم ابن الفرات وولديه وكتّابه بالآجر » .

وقال في تجارب الامم «.. فبادر علي بن عيسى باستئجار خمسمئة سميرية وجعل فيها ألف رجل ، ومعها عدة من شذاآت وطيارات وحولها من دجلة الى الفرات وفيها جماعة من الغلمان الحجرية لمنع الهجري من عبور الفرات .. » .

وقال أيضا(٧٨) : « واجلس غلمانه وحاشيته بأسرهم من الزواريق والسميريات » .

١٢ ـ الشبارة : استعملها أهل بغداد بدجلة للقتال والتنقل والنزهة . وقد ذكر ابن خلكان ان الشبارة بالموصل كالحراقة بمصر(٧٩). وقال ابن بطوطة « رأيتهما بحراقة في الدجلة وتسمى عندهم شبارة »(٨٠). وفي الطبري « ... أخذوا عدة من الشبارات بما فيها من المقاتلة والملاحين »(٨١) .

وفي المنتظم(٨٢) ان رحل المسترشد خرج في سنة ٥٢٧هـ من شبارة مصعدا الى مشرعة التستريين وكان على صدر السفينة يرنقش البازدار قائما

بيده سيف مشهور وآق سنقر قائما بين يديه ، وفي الشـــبارة صاحب المخزن ونظر ومرتجى الخادم .

١٣ ـ الشذا والشذوات : ومفردها شذاة او شذاوة وتجمع عـــلى شذوات وشذاءات وهي سفن صغار كالزبازب . ذكر المسعودي ان بعض الجيوش في البصرة انتقلت في المـــاء في الشذوات والطيارات والسميريات والزبازب وهذه انواع من المراكب يقاتل فيها ، صغار وكبار ... »(٨٣) .

وكان ابو احمد الموفق يبنيها في سيراف وجنابة(٨٤) .

وتكلم هلال الصابي على ارزاق الملاحين في « الطيارات والشـــذاءات والسميريات والحراقات والزبازب وزواريق المعابر »(٨٥) .

وفي تكملة الطبري للهمداني ان البريدي : « دخل بغداد وكان معـــه من الزبازب والطيارات والحديديات والشذاءات ما لا يحصى »(٨٦) .

وقال مسكويه(٨٧) : « وتقدم المقتدر الشذاآت والطيارات لينحدر هو وحرمه الى واسط »

وقال أيضا : « وحالت الشذاآت والطيارات بينهم »(٨٨) .

وقال أيضا : « فانفذ المقتدر جماعة من الغلمان الحجرية من شذاآت عدة لمحاربة العامة »(٨٩) .

١٤ ـ المضفرة : وقد جاء ذكرها في كتاب مناقب بغداد(٩٠) المنسوب لابن الجوزي : « كنت اسمع من المشايخ ان بدجلة خمسمئة مضفرة مزينة لايركب فيها الا ظراف التجار والاجناد وارباب المقاطعات الرجل وغلامـــه والملاحون بالثياب الجميلة .

١٥ ـ الطيار : وهو ركب يستعمله الخلفـــاء العباسيون ووزراؤهم ببغداد فقد كان للخليفة المستكفي (٣٣٣هـ) طيـــار يسمى الغزال(٩١) ، ودخل الطائع لله « الى بغداد في حديدي جلس على ســـطحه وخرج عضـــد الدولة في طياره فتلقاه قريبا من قطيعة ام جعفر وصعد الحديدي وقبـــل البساط ويد الطائع لله وطرح له كرسي بين يديه ، فجلس عليه ، وكان عضد الدولة عليه قباء اسود وسيف ومنطقة واحدقت الطيارات والزبازب بالحديدى » وفي تكملة الطبري أيضا « ... الى أن وصلنا الى حضرتـــه البهية شرفها الله في الحديدية التي استقلت منه بسليل النبوة .. »(٩٢) .

وقال الهمداني في تكملة الطبري(٩٣) : « وانحدر البريدي حين قرب فتلقاه واكرمه ومنعه ان يخرج من طياره وانتقل اليهم وشكر بره » وفيه ايضا « .. وقد رتبت لك طيارا وخمسين غلاما لخدمتك »(٩٤) .

وكوتب محمد بن رائق من بغداد وجاءته رسل المتقي بالمسير فمنعه كاتبه محمد علي بن مقاتل : لا تفعل فقال : ركوبي في الطيار في دجلة وصياح الملاحين أحب الي من ملك الشام كله »(٩٥) .

وفي المنتظم(٩٦) ان الخليفة المقتدى بعث ظفر الخادم فاستدعى السلطان ملكشاه السلجوقي فانفذ اليه الطيار .

وفيه أيضا ان والدة المقتدى بامر الله توفيت في سنة ٤٧٨ وصلى عليها ابنها وحملت في الطيار الى باب الطاق فوصلت بعد عتمة ومشى الناس كلهم الى الترب بشارع الرصافة(٩٧) .

ومما يدل على سعة الطيار ان صلاة الجمعة كانت تقام فيه في اثناء الغرق . فقد ذكر ابن الجوزي في حوادث الغرق الكبير ببغداد سنة ٤٦٦ ان الماء دخل دار الخلافة فمضى الوزير فخر الدولة الى الطيار على باب الغربة فأقام فيه . وذكر ان الجمعة اقيمت في الطيار اسبوعين وفي الحلبة ثلاث جمع بعد ذلك .. ولما نقص الماء تحول فخر الدولة من الطيار الى صحن السلام(٩٨) .

وجاء في الوافي(٩٩) ان الراضي بالله حمل الى الرصافة في طيار سنة ٣٢٩ ودفن في تربة عظيمة له انفق عليها اموالا كثيرة .

وفي سنة ٣٧٩ ركب الطائع لله الطيار وسار الى دار المملكة بالمخرم لتعزية الامير أبي نصر بوفاة ابيه شرف الدولة وكانت الشطآن غاصة بالنظارة فنزل ابو نصر متشحا بكساء طبري والديلم والاتراك بين يديه وحواليه الى المشرعة التي قدم اليها الطيار ، وقبل الارض ، وقبلها العسكر بتقبيله .. وانحدر الطيار على مثل ما اصعد .. وبعد ان قلد الامارة وخلع عليه سار العسكر كله بين يديه الى باب الشماسية في القباب المنصوبة وانحدر الامير في الطيار الى دار المملكة(١٠٠) .

ومما يدل على سعة الطيار ما جاء في اخبار سنة ٤١٤ وذلك ان الخليفة القادر خرج لتلقي مشرف الدولة فانحدر في الطيار وعليه السواد والبردة ومن جانبه الايمن الامير أبو جعفر ومن جانبه الايسر الامير أبو القاسم وبين يديه ابو الحسن علي بن عبدالعزيز وحوالي القبة المرتضى ابو القاسم الموسوى وابو الحسن الزينبي وقاضي القضاة ابن ابي الشوارب . وفي الزبازب المسودة من العباسيين والقضاة والقراء والفقهاء فنزل مشرف الدولة في زبزبه ومعه خواصه وصعد الى الطيار وقد طرح انجره فوقف فقبل الارض دفعة ثانية وسأله الخليفة عن خبره وعرفه استيحاشه لبعده ، وانسه الآن بقربه والعسكر واقف بأسره في شاطيء دجلة والعامة في الجانبين والسماريات وقام مشرف الدولة فنزل من زبزبه واصعد الطيار(١٠١) .

وفي حوادث سنة ٣١٧ ان مؤنسا المظفر جلس في طيارة وصار الى باب الشماسية وتلاحق به اصحابه(١٠٢) .

وفي تجارب الامم « .. ورجموا طيار مؤنس لمكان ابن الفرات فيه .. »(١٠٣) .

وفيه ايضا « .. وحمل المقتدر حملا على رقاب الرجال من دار مؤنس الى الطيار ، ومن الطيار الى درجة الصحن الستيني »(١٠٤) .

وجاء في تجارب الامم لمسكويه اخبار متعددة تذكر الطيار منها : « ثم ركب في طيارة يريد دار السلطان »(١٠٥) . « ووثبت العامة على ابن الفرات ورجمت طياره بالآجر »(١٠٦) . « وصعد اليه من طياره حتى هنأه بمقدمه فلما خرج لينصرف خرج معه مؤنس الى ان نزل الى طياره »(١٠٧) . « حضر .. ومعه عدد يسير من غلمانه بسلاح خفيف في طياره .. وصعد من طياره في الروشن ، وطرح نفسه من الروشن الى الطيارة وعبر واستتر ليلته .. »(١٠٨) . « وأمر ان لا يركب في طيار سوى الوزير والحاجب والقاضي وعيسى المتطبب »(١٠٩) . « ثم وجه القاهر الى سليمان بن الحسن واستحضره للوزارة وحضر في طيارة »(١١٠) .

وفي اخبار سنة ٤١٨ ان جلال الدولة دخل الى دار المملكة فاجتمع هو والخليفة في دجلة . وكان الخليفة نزل من داره في الطيار بين سرادقين مضروبين ومعه بعض الامراء والحجاب وانحدر الى ان قرب من مضرب الملك جلال الدولة فخرج اليه في زبزبه وصعد فقبل الارض دفعات وجلس بين يديه على كرسي طرح له . ثم عاد جلال الدولة الى الزبزب فوقف فيه فتقدم اليه الخليفة بالجلوس فجلس وتبع الطيار على سبيل الخدمة الى ان عبر الى درجة دار الخليفة وصعد الملك من الزبزب(١١١) .

وفي سنة ٤٢٢ توفى القادر بالله وصلى عليه ابنه القائم بامر الله ظاهرا وعامة الناس وراءه ودفن في دار الخلافة ثم نقل تابوته وحمل في الطيار ليلا الى الرصافة سنة ٤٢٣(١١٢) .

وفي سنة ٤٤٠ هـ وصل الملك الرحيم ابو نصر ابن الملك ابي كاليجار الى الخليفة فقبل الارض ولبس الخلع السبع الكاملة والعمامة السوداء ، العمة الرصافية والطوق والسوارين وقلد سيفا بجزايل ووضع على رأسه التاج المرصع وبرز له لواءان معقودان .. وقدم اليه فرس ادهم بمركب ذهب وخرج فنزل الطيار الخليفي وصعد منه الى مضربه(١١٣) .

وفي سنة ٤٤٣ عصفت ريح ببغداد فانحل الطيار الممدود عن باب الغرفة من رباطه فوقع على الرواشن فقلعه من اوله الى اخره وغرق في انحداره عدة سفن فيها غلة وتمر وسميريات كانت سائرة في دجلة هلك فيها قوم وخرجت سفن الجسر من الصراة وكانت مشدودة فيها وانحدرت مع الماء وغرق بعضها(١١٤) .

وفي سنة ٤٤٧ في حادي عشر شهر رمضان فرغ من طيار الخليفة وحط الى الماء بدجلة بالقراء والاصحاب(١١٥) .

وفي سنة ٤٤٨ عصفت ريح شديدة ببغداد فقطعت الجسر وانحدرت

زوارقه وانحل الطيار المربوط بباب الغربة وتكسر سكانه وتشعثت آلاته(١١٦) .

وفي سنة ٤٤٨ ايضا توفيت فاطمة بنت القادر اخت القائم بأمر الله والذخيرة ابن القائم فصلى الخليفة عليهما في صحن السلام وحملا في الطيار الى ترب الرصافة(١١٧) .

وفي سنة ٤٤٩ اذن السلطان طغرلبك بلقاء الخليفة القائم بأمر الله فنزل في الطيار(١١٨) وكان قد زين وانفذ اليه فانحدر ومعه عدة زبازب سميريات ، وعلى الظهر فيلان يسيران بأزاء الطيار .

وفي سنة ٤٥٠ قتل ابو الحارث البساسيرى ثم نصب رأسه على رأس الطيار بأزاء دار الخلافة(١١٩) .. وكان البساسيري قد حمل الطيار الى عسكره ثم نقله الى الحريم الطاهرى(١٢٠) .

وفي حوادث سنة ٤٩٥ هـ ان المستظهر جلس لمحمد وسنجر واجتمع ارباب المناصب في التاج ونزل كمال الدولة في الزبزب واصعد الى دار المملكة فاستدعاهما فنزلا في الزبزب . وكان الطيار قد شعث وغاب وهو الذي انحدر فيه والدهما جلال الدولة ابو الفتح ملكشاه الى دار الخلافة حين جلس المقتدى بأمر الله ، وانحدر فيه طغرلبك حين جلس له القائم بأمر الله . وهذا الطيار كان لجلال الدولة ابى طاهر بن بويه وانفق عليه زائدا على عشرة الاف دينار واهداه للقائم ، وجددت عمارته في سنة سبع واربعين، وتشعث في ايام المقتدى فجددت عمارته ، وحط الى دجلة فكان للناس في تلك الايام من الفرحة بدجلة عجائب ثم هدم . فنزلا في الزبزب فانحدرا الى دار الخلافة(١٢١) .

١٦ ـ **المعبرانيات** : جاء ذكرها في كتاب الخطيب البغدادي وهي المراكب التي يعبر فيها وهي زواريق المعابر .

١٧ ـ **العربات** : وهي سفن رواكد كانت في دجلة . واحدتها عربة كان يعمل فيها رحى وسط الماء الجارى يديرها شدة جريه(١٢٢) .

١٨ ـ **العشيري او العشارى** : وكان فيما يظهر مستعملا ببغداد والقاهرة وقد وصفه عبداللطيف البغدادي(١٢٣) فقال : « واما سفن اهل مصر فكثيرة الاصناف والاشكال واغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه العشيرى شكله شكل شبارة داخله الا انه أوسع منها بكثير واطول واحسن هنداما وشكلا وقد سطح بالواح من خشب مينة محكمة واخرج منها افاريز كالرواشن نحو ذراعين وبني فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروازن بابواب الى البحر من سائر جهاته ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ثم يزوق باصناف الاصباغ ويذهب ويدهن باحسن دهان وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس

جالسا في وسادته وخواصه حوله والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن واطعمتهم وحوائجهم في قعر المركب والملاحون تحت السطح ايضا وفي باقي المركب يقذفون به لا يعلمون شيئا من احوال الركاب ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم بل كل فريق بمعزل عن الاخر ومشغول بما هو بصدده واذا اراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن اصحابه دخل المخدع واذا اراد قضاء حاجته دخل المرحاض والملاحون يقذفون الى ورائهم فهم في قذفهم يشبهون الجالين في مشيهم القهقرى ويشبهون في تحريكهم السفن من يجذب ثقلا بين يديه ويمشي به الى خلفه واما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل نحو امامه ويدسر به فسفنهم تتوجه حيث الملاح يتجه واما سفن مصر فهي تتحرك الى ضد الجهة التي اليها الملاح متوجه »(١٢٤) .

١٩ ـ القرقور : قيل في قصر عيسى بن جعفر ببغداد

ترى قراقيره والعيس واقفة والضب والنون والملاح والحادي(١٢٤)

وللاخطل

ولكن لنا بر العراق وبحره وحيث ترى القرقور يسبح(١٢٥)

وفي تاريخ الوزراء للصابي « .. ذرعت عشرة قراقير منها فكانت سعتها ما بين عشرين ذراعا والى ستة عشر ذراعا »(١٢٦) .

٢٠ ـ الكار : وهي سفن منحدرة فيها طعام في موضع واحد(١٢٧) ورد ذكرها في حكاية ابي القاسم البغدادي وروى ابياتا تذوب رقة وحنينا بلسان ابي عبدالله وهو سكران يغالبه النعاس قال : « اذا بالكار يصعد الى بغداد » فلحظه على تلك الحال وانشأ يقول :

يا سفن بغداد روحي جد عالمة بأن قلبي فيك اليوم قد راحا
يا سفن ماضر فيك المصعدين وقد مدوك لو جعلوني فيك ملاحا
تحدوك من نفسي ريح مصاعدة مع الجنائب امساء واصباحا
وتستمدين دمعي كي يقلك ان جنحت(١٢٨) حين يكون الماء ضحضاحا
يا سفن دعوة صب حن حين رأى نهج الطريق الى الاحباب وارتاحا
يا سفن قولي لمن شط المزار بنا عنهم فشتت شمل القرن واجتاحا
انا الغريب الذي يبكي الحمام له اذا بكى وينوح الطير اذ ناحا(١٢٩)

٢١ ـ الناشطيات : قال ابو علي الصوفي(١٣٠) : بلغ المهلبي مبلغه (من الوزارة) فدخلت البصرة واجتزت بسر من رأى واذا انا بناشطيات وحراقات وزبازب وطيارات في عدة وعدد فسألت لمن هذا فقيل : للوزير المهلبي » .

وقد وردت اسماء اخرى في جملة الوان المراكب والسفن التي يحتاج الى معرفتها ببغداد كما وردت في حكاية ابي القاسم البغدادي منها : بالوع

وبرمة وجدى والزبيديات ولعلها نسبة الى زبيدة زوج الرشيد . والشلتملى والطبطاب .. الخ(١٣١) .

---

(١) تاريخ بغداد ج١ ص٨٠
(٢) تاريخ بغداد ص ٧٩
(٣) تاريخ بغداد ص ٨٠
(٤) تاريخ بغداد ص ٧٥
(٥) تاريخ بغداد ص ٧١
(٦) تاريخ بغداد ص ٧٩
(٧) صورة الارض ٢٤٢
(٨) تاريخ بغداد ص ١١٤ .
(٩) تاريخ بغداد ص ٩٨ .
(١٠) تاريخ بغداد ص ١١٧ .
(١١) تاريخ بغداد ص ١٢٠ .
(١٢) راجع الخطيب عن مقابر العلماء والزهاد في جانبي بغداد ج ١ ص ١٢٠ ـ ١٢٧ .
(١٣) الخطيب ج ١ ص ٨٢ وياقوت ج ٣ ص ٤٦ .
(١٤) الخطيب ج ١
(١٥) الخطيب ج ١
(١٦) المنتظم ج ٧ ص ٢٨٦ .
(١٧) المنتظم ج ٧ ص ١٧١ .
(١٨) أحسن التقاسيم ص ١٢٠ .
(١٩) المنتظم ج ٩ ص ٢٣٧ .
(٢٠) المنتظم ج ١٠ ص ٢٥٠ .
(٢١) الرحلة
(٢٢) معجم البلدان
(٢٣) الفخري
(٢٤) الرحلة
(٢٥) رحلة تافرنييه
(٢٦) معجم البلدان
(٢٧) الخطيب ج ١ ص ١١٧ .
(٢٨) الرحلة طبعة بيروت ص ٢٠١ .
(٢٩) المنتظم ج ٩ ص ١٤٢ ، ج ١٠ ص ٢٩ .
(٣٠) المنتظم ج ١٠ ص ٤ .
(٣١) المنتظم ج ٩ ص ٢٢٥ ، ٣٥ و ج ٧ ص ٢١ ، ١٣٥ .
(٣٢) المنتظم ج ٩ ص ٢٥ .
(٣٣) المنتظم ج ٨ ص ٢٨٦ .
(٣٤) الاغاني ج ٩ ص ٣٣ .
(٣٥) باب الطاق .
(٣٦) مناقب بغداد ص ٢٥ ـ ٢٧ .
(٣٧) تكملة تاريخ الطبري ص ١٢٣ .
(٣٨) مسكويه ١ ـ ٢١٠ ـ ٢١١ .

(٣٩) ، (٤٠) ، (٤١) تكملة الطبري ص ١١٦ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ٠
(٤٢) ديوان ابي نؤاس ١٧٦ ـ ١٧٧ ٠
(٤٣) ج ٦ ص ١٨٢ ٠
(٤٤) الاغاني ١٠ : ١٣٨ ٠
(٤٥) البلدان ص ١٥٠ ٠
(٤٦) مناقب بغداد ٢٧ ٠
(٤٧) الطبري ٤ : ٢٧٤ ٠
(٤٨) الديارات ٠
(٤٩) المنتظم ج ٧ ص ١٥٦ ٠
(٥٠) الخطيب ج ١ والرسوم والمنتظم ج ٦ ص ٧٠ وفي حوادث سنة ٣٠٥ ومسكويه ج ١ ص ٥٣ ـ ٥٥ ٠
(٥١) المنتظم ج ٧ ص ٢٦٦ ٠
(٥٢) المنتظم ج ٩ ص ٢٢٥ ٠
(٥٣) المنتظم ج ١٠ ص ٤ ٠
(٥٤) المنتظم ج ١٠ ص ٢٣ ٠
(٥٥) المنتظم ج ١٠ ص ١٢٨ ٠
(٥٦) المنتظم ج ٩ ص ٢٣٨ ٠
(٥٧) المنتظم ج ١٠ ص ١٩٩ ٠
(٥٨) المنتظم ج ١٠ ص ١١ ٠
(٥٩) المنتظم ج ١٠ ص ١٦٤ ٠
(٦٠) المنتظم ج ٧ ص ٢١٥ ٠
(٦١) ابن ابي اصيبعة ١ : ١٧٩ ٠
(٦٢) الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ٤١ ، ٥١ ٠
(٦٣) الفرج بعد الشدة ١ : ١٠٧ ـ ١٠٨ ٠
(٦٤) آخبار ابي نواس لابن منظور ص ١١٤ ٠
(٦٥) الاغاني ٣ : ١٧٧ ٠
(٦٦) الجهشياري ١٣٣ ٠
(٦٧) راجع الديارات للشابشتي ٠
(٦٨) راجع التاج ١٠ : ١٦٧ ٠
(٦٩) الطبري ٦٨٢ في خلافة الرشيد ٠
(٧٠) الاغاني ٧ : ١٥٨ طبعة دار الكتب ٠
(٧١) ديوان ابي نواس ٠
(٧٢) الخطيب ج ١ ص ومروج الذهب والمنتظم ج ٩ ص ٤٤ ٠
(٧٣) ج ٨ ص ٧٣ ٠
(٧٤) ج ٨ ص ٢٣ ٠
(٧٥) ج ٢ ص ٢١ ٠
(٧٦) تجارب الامم ج ١ ص ١٢٦ ٠
(٧٧) تجارب الامم ج ١ ص ١٧٦ ٠
(٧٨) مسكويه ١ : ٩٤ ٠
(٧٩) ابن خلكان ١ : ٧٧ ٠
(٨٠) الرحلة ١ : ١٣٧ ٠
(٨١) الطبري ١٥٦٣ و ١٥٨٩ ٠

(٨٢) ج ١٠ ص ٢٩ .
(٨٣) مروج الذهب ٨ : ٣٤٥ .
(٨٤) نهج البلاغة ٢ : ٣٥١ .
(٨٥) تاريخ الوزراء ١٩
(٨٦) ص ١٢٣ ط بيروت .
(٨٧) ج ١ ص ٢٣٥ .
(٨٨) مسكويه ج ١ ص ١٧٦ .
(٨٩) مسكويه ج ١ ص ١٧٤ .
(٩٠) مناقب بغداد ص ٢٥ ـ ٢٧ .
(٩١) مروج الذهب .
(٩٢) تكملة الطبري للهمذاني ص ٢١٩ .
(٩٣) ص ١٢٣ .
(٩٤) ص ١١٧ .
(٩٥)المشرق ص ٣٤٩ عن ابن سعيد في حلى المغرب .
(٩٦) ج ٩ ص ٢٥ .
(٩٧) ج ٩ ص ٢٥ .
(٩٨) ج ٨ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .
(٩٩) ج ١ ص ٢١٧ .
(١٠٠) المنتظم ج ٧ ص ١٤٨ .
(١٠١) المنتظم ج ٨ ص ١٢ .
(١٠٢) المنتظم ج ٦ ص ٢٢١ .
(١٠٣) مسكويه ج ١ ص ١٢٦ .
(١٠٤) مسكويه ج ١ ص ١٩٨ .
(١٠٥) ج ١ ص ٧٤ .
(١٠٦) ج ١ ص ١٢٢ .
(١٠٧) ج ١ ص ١٢٢ ـ ٣ .
(١٠٨) ج ١ ص ٢٦٤ .
(١٠٩) ج ١ ص ٢٦٨ .
(١١٠) ج ١ ص ٢٧٢ .
(١١١) المنتظم ج ٨ ص ٣٠ .
(١١٢) المنتظم ج ٨ ص ٦١ .
(١١٣) المنتظم ج ٨ ص ١٣٦ .
(١١٤) المنتظم ج ٨ ص ١٤٩ .
(١٥) المنتظم ج ٨ ص ١٦٥ .
(١١٦) المنتظم ج ٨ ص ١٦٩ .
(١١٧) المنتظم ج ٨ ص ١٧٥ .
(١١٨) المنتظم ج ٨ ص ١٨١ .
(١١٩) المنتظم ج ٨ ص ٢١١ .
(١٢٠) المنتظم ج ٨ ص ١٩٤ .
(١٢١) المنتظم ج ٩ ص ١٣٠ .
(١٢٢) التاج ١ : ٣٧٦ واللسان ١ : ٨١ وشفاء الغليل ١٥٦ .
(١٢٣) الافادة والاعتبار ٤٠ ـ ٤١ .

(١٢٤) معجم البلدان ٤ : ١١٨ ٠
(١٢٥) الاغاني ٨ :٣١٦ ٠
(١٢٦) التحفة ٢٥٧ ٠
(١٢٧) المخصص ١٠ : ٢٩ ٠
(١٢٨) يقال جنحت السفينة اذا انتهت الى الماء القليل فلزقت بالارض ولم تمض (التاج ٢ : ١٣٤) ٠
(١٢٩) راجع حكاية ابي القاسم البغدادي ٠
(١٣٠) العقد الفريد ١ : ١٦٠ ٠
(١٣١) راجع حكاية ابي القاسم البغدادي ٠

الأقلام

مجلة فكرية عامة

الجزء الرابع - السنة الثالثة
رمضان ١٣٨٦ هـ
كانون الأول ١٩٦٦ م